

قراءة في المنطلقات الايديولوجية والاساليب العملية
للحركتين الصهيونية والنازية

بماذا تختلف الصهيونية عن النازية

"ما أجمل هوءلاء الرجال وأسلحتهم العصرية، انهم يتقدمون الى الامام ولا شيء يمكنه أن يوقفهم" ... بهذه العبارات كان معلق الاذاعة الصهيونية يتحدث عن هجوم الجيش الاسرائيلي على لبنان، مردداً - بدون وعي ولا شك - نفس العبارات التي يتضمنها النشيد النازي!

وفي نفس اللحظة كان "هوءلاء الرجال" يشنون حرباً كاسحة ضد الفلسطينيين واللبنانيين مستعملين جميع وسائل الابادة الجماعية التي تمنعها المعاهدات الدولية من قنابل عنقودية و"نابالم" ومواد سامة وقنابل الفوسفور، ولعب الاطفال الملغومة ... مخلفين عشرات آلاف القتلى والجرحى في صفوف السكان المدنيين البريء ... وبجانب هذا، قامت القوات الصهيونية بانشاء معسكلات الاعتقال في الاراضي اللبنانية المحتلة، وزجت فيها بآلاف السكان مستعملة ازاءهم كل أساليب الاهانة والضرب والتعذيب والتوجيع ، كما يشهد بذلك الطبيب النرويجي ميلير وبيرغ للذان كانوا يعملان بالمستشفيات الفلسطينية واللذان اعتقلوا في أحد المعسكلات . كما قامت قوات الاحتلال بتحطيم المنازل والحدائق بالجرافات والكاسحات خشية من العمل الفدائي في الجنوب ، ووضعت خطة منهجمية لتدمير أحياe كاملة ببيروت الغربية، ببنياتتها وشوارعها وسكنها اللبنانيين وفلسطينيين ، وحولت مدننا بكمالها الى حطام من

الحجارة مثل مدينة صيدا وصور والنبطية . . .

آمام كل هذه الاساليب الهمجية كيف لا تتبادر الى الذهن المقارنة المباشرة مع الاساليب التي استعملتها النازية في مغامرتها الخرقاء للسيطرة على العالم والانسانية جماء؟

نظريّة التفوق العرقي

لا أن أوجه القرابة بين الصهيونية والنازية لا تقف عند التطابق في الاساليب والمناهج بل تتعادها لما هو أعمق وأخطر، أي القرابة والتتشابه في الاختيارات الایديولوجية والاسس النظرية، زيادة على الروابط التاريخية التي جمعت بين العصابات الصهيونية الاولى والسلطة الفاشية في كل من ألمانيا وايطاليا .

ولنبدأ بـ مقارنة بسيطة بين المفاهيم الصهيونية من جهة، والنازية من جهة ثانية، فيما يتعلق بـ "الدولة" وـ "الاقلية الوطنية" .

لقد أكد منظرو النازية بأن الشعب الالماني يشمل، زيادة على سكان ألمانيا، كل العناصر الالمانية الموجودة في بولندا وتشيكوسلوفاكيا وسويسرا وفرنسا والبرازيل والولايات المتحدة، الخ . . . كما يعرّفون الاقلية الوطنية الالمانية كـ "جزء من الشعب الالماني تم فصله عن منبه لكنه حافظ على العناصر التي تشكل قيمة العرق" .

أما الصهاينة، فإنهم يقولون من جهتهم بـ "الشعب اليهودي الواحد" الذي تتواجد عناصره عبر العالم، في حين أن اسرائيل تشكل مركزه ووطنه وـ "أرض ميعاده"، وبالتالي، فإن جميع اليهود الذين يعيشون خارج هذا الوطن يشكلون "أقليات وطنية" تابعة للمركز الصهيوني ومطالبة بالولاية، كما أن لها واجبات اتجاهه .

وكل من الحركتين، الصهيونية والنازية، تعتبر أن "شعبها" وحده يتمتع بصفات وخصائص تميزه عن بقية الشعوب . وفي هذا السياق أكد هتلر أن "الاريين هم مؤسسو الحضارة عبر العالم بأسره" ، في حين أن الصهيوني بن غريون، قد ألح على "التفوق الفكري والادبي لlama اليهودية" بحيث أن اليهود يتوفرون على كل الخصال التي تجعل منهم "شعباً مختاراً" لانه هو الذي تمكن - كما يؤكد بن غريون - من "خلق فكر أصيل ومتميز لم تكن تعرفه لا شعوب مصر وبابل والهند والصين، ولا شعوب اليونان والروماني وتلك المنحدرة منها

والتي تعيش في أوروبا في هذا العصر" . . .
وهنالك أيضاً تطابق في مفاهيم ومبادئ الحركتين عندما تدعيان أن كافة الشعوب الأخرى تحقد على شعبيهما وتعمل على ابادتهما . وإذا كانت النازية قد ركزت في دعايتها على أن الشعب الالماني يعيش في عالم يحقد عليه ويعاديه، فإن الصهيونية تقول بأن معادات السامية ظاهرة موجودة بشكل دائم وأبدى، وأنها خطير محدق باستمرار باليهود أينما حلوا وارتاحلوا عبر العالم، وكلتا الحركتين تستهدفان من وراء هذه الدعاية خلق أعلى درجة من الشوفينية والانزواء والتلصص لدى زبنائهما .

وهذا ما عبر عنه الصحفي الامريكي كوهن عندما قال : "ان الصهاينة يتقايسون مع النازيين الاسس الایديولوجية التي انبثت على معاداة السامية، رغم أنهم يوظفون تلك الاسس للوصول الى نتائج معايرة، فمقابل العرق الارى هناك بالنسبة اليهم ، العرق اليهودي الذي يعتبر أكثر نقاوة وتفوقاً من غيره" .

التعاون المباشر والروابط المكشوفة

لا أن العلاقة بين النازية والصهيونية لا تقف عند التتشابه والتطابق فيما يخص المنتطلقات والاسس الایديولوجية، بل تتعادها الى العلاقة التنسيقية المباشرة والروابط المصلحية المكشوفة، علماً بأن القاسم المشترك بين الحركتين يبقى هو بروزهما من صلب نفس البورجوازية الاميرالية الاكثر شوفينية ورجعية . ولقد بات مؤكداً أن الزعماء الصهاينة كانوا على صلة تنسيق مباشرة مع الحكم النازى بألمانيا ، ومع الحركة الفاشية بشكل عام . فمنذ الثلاثينيات، شعر الزعماء الصهاينة بأن تحالفهم مع بريطانيا لم يعد كافياً وأنه من الضروري البحث عن حلفاء مضمونين ومتحاوبين مع طبيعة حركتهم ومبادئها . وهكذا استقبل الزعيم الاطيالي الفاشي موسوليني الزعيم اليهودي

ناحوم غولدمان وصرح له قائلاً :
"يجب عليكم أن تنشئوا دولة يهودية حقيقة، وأن لا تكتفوا بهذا الملجا الحقير الذي منحكم اياه البريطانيون . وانني شخصياً من مؤيدي الصهيونية، وسأساعدكم على انشاء هذه الدولة" . . .
وهذه المساعدة التي يتحدث عنها الدكتاتور الاطيالي هي نفسها التي قدمها حلفاؤه الالمان من خلال تقتيل ملايين اليهود في مختلف البلدان الاوروبية، الشيء الذي كان يخدم موضوعياً الصهاينة، ويعزز فكرتهم حول ضرورة

اسرائيل ليسوا أولئك اليهود الاوروبيين الذين نجوا من الموت في معسكرات هتلر، بل انهم يستعملون الجرائم التي ارتكبها النازية في حق اليهود، للتنطعية عن الجرائم التي يقومون بها هم أنفسهم في حق الشعب الفلسطيني". وما ممارسة التقتيل الجماعي، واحتقار القانون الدولي، وسياسة الهجوم والتوسيع على حساب البلدان العربية، والعنصرية التي رفعها الصهاينة الى مستوى عقيدة الدولة.. الا صورة طبق الاصل للعقيدة والممارسة الفاشية السائدة الذكر.

وإذا كانت الحركة الصهيونية، في دعايتها الرسمية، تنفي على نفسها هدف التقتيل الجماعي للشعب الفلسطيني، فإن بوادر هذا الهدف قد تجلت في الحقيقة منذ أن شرع الصهاينة في احتلال فلسطين، وقت الحماية البريطانية، مدعيين بأن لا وجود لشعب اسمه الشعب الفلسطيني، وأن فلسطين "أرض بلا شعب"، وبالتالي، فلم يبق للشعب اليهودي، الذي ليس له وطن، الا أن يتمكن من هذه الأرض ..

وهذا ما شرحه الخبير القانوني الامريكي "سولز بريجر" عندما قال: "ان الصهيونية ليس لها عملياً أي معنى الا اذا عطلت على القضاء على الشعب الذي وجد في فلسطين، ومنعه من أي حق في تقرير مصيره واستبدال ارادته بارادة أجنبية" ..

من الاستعمار الى التقتيل الجماعي

عندما شرعت الحركة الصهيونية في استعمار فلسطين قبيل الحرب العالمية الثانية، كانت أهدافها المحلية تتجلّى في شعريين أساسيين هما: "الحصول على الارض" و "التمكّن من الشغل". وكان يعني الشعار الاول، بكل بساطة، طرد الفلاحين الفلسطينيين من الاراضي التي يشتريها الرأسمالي الصهيوني العالمي من الاقطاعيين العرب بهدف اقامة الضيغات الصهيونية "الكيبيوتزات" ، والتي كان دخولها ممنوعاً على العرب منعاً كلياً.

اما الشعار الثاني، فيترجم مبدأ عنصرياً آخر وهو حرمان العرب من الشغل في المؤسسات الصناعية والت التجارية التي احتكرها اليهود . ولقد حولت الصهيونية هذين الشعريين تدريجياً، لدمجهما في شعار اساسي واحد "الشغل لليهود في الارض اليهودية" .. وكان هذا يعني حرمان الفلاحين الفلسطينيين من وسائل عيشهم ، وتحويل العمال الى عاطلين، وفقاً لمبدأ عنصري واضح . وما أشبه

تعرض اليهود للاضطهاد حتى يكونوا مضطربين للالتفاف حول الحركة الصهيونية . وهذا هو رأى ناخوم غولدمان نفسه الذي يخشى "تفتت اليهود" بشكل سريع في حالة عدم تعزّزهم للاضطهاد ، وهذا ما عبر عنه بشكل واضح عندما قال : "ان التضامن هو الذي مكن من وحدة الشعب اليهودي . و حتى بالنسبة للتقتيل ملابين اليهود من طرف النازية، لقد عاد بنتائج مفيدة تجلت في اذكاء روح التضامن والاصرار على البقاء يهودياً" . وهذا أيضاً ما ترجمه النازيون في دعايتهم من خلال شعارهم المشهور : "ألمانيا للالمان، واليهود الى فلسطين" ، والذي كان يناسب تماماً أهداف الحركة الصهيونية .

وفي هذا الاتجاه، عقد النازيون مع الزعماء الصهاينة سنة ١٩٣٣ اتفاقية تحت عنوان "عملية الانتقال هافارا" ، الراامية الى تهجير اليهود من ألمانيا الفاشية نحو فلسطين ، وذلك بتمويل من الحركة الصهيونية نفسها ، وهذا ما تؤكد "الموسوعة اليهودية" التي تقول : "في سنة ١٩٣٤ صدرت تعليمات رسمية الى جميع السلطات المحلية في ألمانيا النازية تنص على تشجيع نشاط المنظمات والشبيبة الصهيونية في ألمانيا بهدف تهجير اليهود الى فلسطين" .

وفي سنة ١٩٣٨ ، صدرت عن الحكم النازي تعليمات أخرى تنص على عدم مضايقة نشاط الرأسماليين اليهود ، ذلك أن هتلر كان في حاجة الى العمالة الصعبة التي يجلبها له الرأسماليون الصهاينة من أجل تسليح جيشه . وفي نفس الاتجاه، صدر عن وزارة الخارجية الالمانية تعليم الى سفاراتها وهيآتها الدبلوماسية عبر العالم يقول بالنص: "ان الاهداف التي يعمل من أجلها اليهود الذين يسعون الى خلق كيان خاص بهم ، وعلى رأسهم الصهاينة، لا تختلف في شيء عن أهداف السياسة الالمانية تجاه اليهود عامة" ..

ولما شرع النازيون في التقتيل الجماعي لليهود ، استعلنوا بالمنظرين الصهيونيتين اللتين أنشئتا في ألمانيا تحت رعاية النظام النازى وهما "المجلس اليهودى" و "الرابطة الامبراطورية لليهود ألمانيا" . وكان دور المنظمتين هو وضع لواحات اليهود الذين يتوجب قتلهم واحصاء ممتلكاتهم واستدعاءهم الى المكان المقرر لاعتقالهم ، ومطاردة من تغيب او اختفى منهم .

وهكذا فان الصهاينة قد ساهموا فعلاً في جرائم النازية ، والتقت مصالحهم مع مصلحتها في تقتيل ملابين الابرياء ، في حين أننا نراهم اليوم يعتمدون في الجريمة والاعتداء على الشعب الفلسطيني ، بدعوى الانتقام لهؤلاء الابرياء !

الحقيقة، كما يقول الصحفي الامريكي هنرى درابير، أن "حكام

هذه الاساليب بتلك التي كانت تستعملها النازية داخل وخارج ألمانيا عملاً بشعار "الدفاع عن مصالح الشغل الالمانية" والتي أصدرت الحكومة الالمانية بصددها يوم ٢٨ مارس ١٩٣٣، تعليمات رسمية تقول حرفياً: "لا تشتروا شيئاً من المتاجر اليهودية، قاطعوا الاطباء والمحامين اليهود" . وبعبارة أخرى، فان الاساليب التي استعملتها النازية في حق اليهود، هي نفسها التي طبقتها الحركة الصهيونية حيال العرب الفلسطينيين .

وبما أن هذه الاساليب أثارت مقاومة الفلسطينيين، فان الصهاينة لم يتربدوا في خلق فرقهم الارهابية بهدف التصفية الجسدية لكل من رفض أو ناضل أو قاوم، وهكذا شرعت منظمات "هاغانا" و"الارغون" و"ستيرن" في زرع الرعب والموت والارهاب بشراسة ووحشية لم يسبق لها مثيل، بهدف طرد العرب الفلسطينيين من ديارهم بالقوة، غير متعددة في ارتکاب أبشع واسع الجرائم من أجل الحصول على أكثر ما يمكن من الارضي قبل نهاية الحماية البريطانية.

وهذه المنظمات الفاشية، وعلى رأسها الارغون "التي تزعّمها الارهابي بيغن، هي التي استحوذت على مدینتي يافا وحيفا بالقوة وبحث لقرارات الامم المتحدة، وهي التي اشتهرت بعملياتها الوحشية في كل من دير ياسين وكفر قاسم حيث كشفت عن طبيعتها الاجرامية الشنعاء من خلال التقتيل الجماعي للرجال والنساء والاطفال والشيوخ، مرغمة أزيد من مليوني عربي فلسطيني على التشرد والرحيل واللا جو" . وهذه الجرائم كلها لم تكن محروقة للصهاينة الفاشيست، بل كانت موضوع مفخرة وتباهي بالنسبة اليهم، وهذا ما عبر عنه الارهابي بيغن نفسه عندما قال: "لم يكن بالامكان اقامة دولة اسرائيل لولا انتصارنا في دير ياسين" ! وقد كانت صور القتل والدمار في دير ياسين تطبع في الاف المنشورات وتوزع على سكان القرى الاخرى حاملة هذا التعليق: "ان لم ترحلوا، فسيكون هذا مصيركم" ! وما أشبه هذه المنشورات بتلك التي وزعها الصهاينة على سكان بيروت الغربية whom يمارسون نفس اساليب التدمير والتقتيل الجماعي : فال مجرمون الذين قادوا عمليات دير ياسين وكفر قاسم، هم أنفسهم الذين يعملون على تدمير لبنان سكاناً وبلداً .

"الحرب الوقائية" و"المجال الحيوي"

ومن بين أوجه القرابة بين الصهاينة والنازية تطابق مفهوميهما

لل المجال الحيوي" و"الحرب الوقائية" .
الملاحظ ان الصهاينة لم يحددوا يوماً ما مساحة الدولة التي يريدونها بل أن أحد زعماء الصهيونية البارزين بن غريون، سبق أن صرّح قائلاً: "ان حجم الدولة اليهودية سيتم تحديده من خلال الحرب" . وبالإضافة الى اطروحة "اسرائيل الكبير" من النيل الى الفرات التي يقول بها حزب "يهودا" الذي يشارك في السلطة، هناك اطمام توسعية باتت مطروحة رسمياً من طرف الصهاينة. لقد صرّح الارهابي بيغن بأنه لا ينوي التنازل عن الضفة الغربية وغزة، وعن مرتفعات الجولات التي ضمها رسمياً سنة ١٩٨١، وكذلك الشأن بالنسبة للمناطق الجنوبية في لبنان . تماماً كما كان هتلر يطالب بنصف أوروبا !

اما بالنسبة لشعار "الحرب الوقائية" ، يجب التذكير هنا ان أول من طرّحه هم تحديداً حكام ألمانيا النازيون للتغطية عن أهدافهم التوسعية الحقيقة كوسيلة لتحصيل مسوء ولية الاعتداء للمعتدي عليه .

وإذا كانت النازية قد تدرّعت وراء "الدفاع عن العالم الحر والحضارة الغربية" والتتصدى "للخطر الشيوعي" لتنفيذ مراميها التوسعية، فإننا نرى الصهاينة أيضاً تقدم كل هجوماتها واعتداءاتها على أنها مجرد عمليات "وقائية" تفرضها الضرورة امام "الارهاب" و"العداء العربي" . ومن أجل نيل عطف الرأي العام الغربي، والتأثير عليه من خلال وسائل الاعلام التي تتّحكم في العديد منها، نراها ترفع نفس الشعارات وتقدم نفس التبريرات وتتنصب نفسها "مدافعة عن قيم العالم الغربي ضد "الخطر الشيوعي" بنفس الطريقة التي سلكها أسلافها في الحركة النازية .

وها هو بيغن يصرّح لصحيفة "شيكاغو تريبيون" (يوم ٢٢ يوليو ١٩٨٢) محاولاً تبرير هجوم القوات الصهيونية على لبنان، حيث يقول: "ان تكديس الاسلحة المتقطورة في لبنان من طرف الاتحاد السوفيتي لا يمكن تفسيره الا بنيتها في احتلال اسرائيل ثم الاردن والعربية السعودية وكل دول الخليج" . هذا مع العلم أن المخطط الصهيوني - كما يكشف عنه الوزير الاول السابق للكيان الصهيوني شاريت في مذكراته التي نشرت مؤخراً - كان يتضمن قبل وجود أي فلسطيني مسلح في لبنان، ضرورة غزو جنوب لبنان واحتلاله حتى نهر الليطاني، واقامة نظام مسيحي في الشمال .

اما بالنسبة للقانون الدولي، وقرارات الهيئات الدولية، فإن الصهاينة لا تعتبر نفسها معنية بها اطلاقاً، اذ أنها تعتبر أن ما تعمله وتقوم به يستند الى "حق تاريخي طبيعي" ، وهذا ما عبر عنه المنظر الصهيوني

"روبير مسراحى" عندما قال : "ان للرجل اليهودى والدولة اليهودية الحق في العيش حسب اختياراتهما وخاصيتهما " . وقد علق الكاتب ورجل القانون الفرنسي "فيليب دو سان روبير" على هذا قائلاً، ان هذا الطرح لا يختلف عن الاعتراف بان "هتلر كان له الحق كذلك في بناء الدولة النازية كما يشاء ، وقتل البريء كما يحلو له" .. وهذا الطرح يشكل في حقيقة الامر مثلاً ساطعاً عن افراط مفهوم الحق والقانون من محتواهما الحقيقي، وتحويلهما الى أدوات لتبرير الظلم والعنف والاستبعاد .

هكذا فان القانون الصهيوني يعتمد على تاويل صهيوني لليهودية، وينصب نفسه حامياً "لشرف اليهود ، ونقاوة دمهم" ، بنفس الطريقة التي حرم بها القانون النازي الصادر في ١٥ سبتمبر ١٩٣٥ الزواج المختلط بين العنصر الألماني وغيره ، وذلك من أجل حفظ "نقاوة الدم الألماني والشرف الألماني" على حد تعبيره الحرفي

واما ما اضفتنا الى هذا التتطابق في الطرحين الصهيوني والنازي ، تشابه عقليتهما الشوفينية ومبادئهما العنصرية سواء على المستوى السياسي أو الثقافي ، ودرجة عسكرتهما ، بدت لنا بكل جلاء ووضوح القرابة المتينة بين الصهيونية والنازية. وهذا ما لن تغطي عنه مهارة الصهاينة وحلفائهم في تشويه الحقائق والمعطيات ، واستبدال الاحداث بغيرها أو نكرانها ، وشن الحملات الاعلامية المسمومة وسط الرأى العام .. وهي نفس الاساليب التي استعملتها الحركة الفاشية النازية بدون جدوى .. ذلك أن حكم التاريخ آت لا محالة.

